(١)

عفو الله الكريم

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم:{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ العفو الغفور، وأَشهدُ أنَّ سيِّدنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، الذي قال عندما سألته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) : يَا رَسُولَ اللهِ : أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟ فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (قولي : اللهُمّ إِنّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) ، (رواه أحمد) اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن عفو الله (عز وجل) عن عباده ، وبيان سعة رحمته ولطفه بهم لا تستقصيه الكلمات ، ولا تصفه العبارات ، فسبحانه وتعالى هو العفو ، وهو الرءوف ، وهو الرحيم ، وهو الودود ، وهو الكريم ، وهو الشكور ، وهو واسع الفضل والرحمة ، يعفو ويصفح ، ويجود ويسمح ، ويعطي ويمنح ، كرمه مبذول ، وستره مسبول ، وعطاؤه موفور ، يقول سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}، ويقول سبحانه : {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}، وفي الحديث القدسي يقول الله (عز وجل): {يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} (رواه مسلم) .

ومما لا شك فيه أن مظاهر عفو الله (عز وجل) عن عباده متواترة في الكتاب والسنة ويشهد لها واقع الناس وأحوالهم ، ولا أدل على ذلك من كونه سبحانه قد سمى نفسه العفو ، ولقد ورد هذا الاسم في خمسة مواضع من كتاب الله (عز وجل) ، حيث يقول سبحانه: {فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا}، ويقول (جل شأنه) : {فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا}، ويقول تعالى:

{إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}، ويقول سبحانه: {ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنّهُ اللَّهُ إِنّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ}، ويقول تعالى: {وَإِنّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ}.

والعفو في حق الله (عز وجل) له معنيان:

الأول: الفضل، فسبحانه هو الذي يُعطي الكثير، ويهب الفضل الجزيل، ويبتدئ عباده بالنعم قبل استحقاقها، فكل نعمة منه فضل، يقول سبحانه: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}، وفي الحديث القدسي يقول (عز وجل): (يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ) (رواه مسلم)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (يَدُ اللَّهِ مَلأَى لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ) (رواه البخاري).

الثاني: المحو والإزالة، فسبحانه هو الذي يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصي، ويعفو عن الذنب، ولا يهتك الستر، يقبل القليل من العمل ويُنميه، ويعفو عن الكثير من الزلل ويمحوه، يقول سبحانه: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ}، ويقول (جل شأنه): {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}، ولله در القائل:

وَهْوَ العَفُوُّ فعَفْوُهُ وَسِعَ الوَرَى ... لَوْلاهُ غَارَ الأَرْضُ بالسُكَّانِ

ويقول الآخر:

يَا رَبِّ إِن عَظُمَت ذُنوبي كَثرَةً ... فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنّ عَفوَكَ أَعظَمُ

إِن كَانَ لا يَرجُوكَ إِلّا مُحسِنٌ ... فَبِمَن يَلوذُ وَيَستَجيرُ المُجرِمُ

أَدعوكَ رَبِّ كَما أَمَـرتَ تَضَرُّعًـا فَإِذا رَدَدتَ يَدي فَمَن ذا يَرحَمُ

مَالِي إِلَيـكَ وَسيلَـةٌ إِلا الرَجَـا وَجَميلُ عَفوِكَ ثُمّ أَنّي مُسلِم

إن من جميل عفو الله (عز وجل) على عباده أن فتح لهم باب التوبة ودعاهم جميعًا إليه دون استثناء ، يقول سبحانه : {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} ، ويقول سبحانه : {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} ، قال بعض أهل العلم : هذه أرجى آية في كتاب الله (عز وجل) ؛ لأن الله خاطب عباده المسرفين على أنفسهم بقوله : {يَا عِبَادِيَ} ، فسماهم عباده على الرغم من إسرافهم ، فمهما كان ذنب العبد ، ومهما كانت معصيته ، ومهما بلغ تقصيره فإنه إذا تاب توبة نصوحا قبل الله (عز وجل) توبته ، وفي الحديث القدسي أن الله (عز وجل) يقول : (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً) (رواه الترمذي) .

وإن من سعة كرمه سبحانه أن عفوه لا يقف عند حدود توفيق العبد للتوبة أو قبولها منه فحسب ، فإن الكريم إذا عفا محا آثار الذنب والمعصية التي اقترفها العبد ، فلا يؤاخذه بها ، ولا يعاقبه عليها ، بل إن من جميل عفوه سبحانه أن العبد إذا تاب بدَّل الله (عز وجل) سيئاته حسنات ، فقد قال سبحانه : {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}، فأيُّ كرمٍ هذا؟! وأيُّ عفو هذا؟!، ولله در الإمام الشافعي حين قال:

وَلَّمَا قسا قلْبِي وضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلَّمَا

تَعَاظَمَنِـي ذَنبِـي فَلَمَّـا قرنتـهُ بِعفوكَ ربي كـانَ عفـوكَ أعظمـا
فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَـمْ تَزَلْ تَجُـودُ وَتَعْفُـو مِنَّـة وَتَكَرُّمَـا

ولا يخفى أن إدراك العبد لعظيم عفو الله (عز وجل) يفتح له باب الرجاء والأمل في سعة رحمته ، ويبعثُ السَّكينةَ في النفس، والطُّمأنينةَ في القلب، والثقةَ في أن عفو الله (عز وجل) أعظم من ذنوبه ، وأن الله (عز وجل) أرحم به من الوالدة بولدها، لذا قال بعض الصالحين : لو قيل لي يوم القيامة سنجعل حسابك لأبيك وأمك لرفضت ذلك ؛ لأن الله (عز وجل) أرحم بي من أبي وأمي ، ولله در ابن الجوزي حين قال:

يَا كَثيرَ الصَّفْح عمَّن كثُر الذَّنبُ لديهِ
جاءك المذنب يرجو العَفْوَ عن جُرْم يديهِ
أَنَا ضَيفٌ وجزاءُ الضّيف إحْسَانٌ إليهِ

ولقد ذكر لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) مواقف يتجلى فيها عظيم عفو الله (عز وجل) على عباده يوم القيامة ، ومن ذلك:

ما رواه سيدنا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنهما) أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال : (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ) (رواه أحمد) .

وعن سيدنا عبدِ الله بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ ، فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ) (رواه البخاري) .

وعن سيدنا أبي مسعود الأنصاري (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (حُوسِبَ رجلٌ ممنْ كَان قَبْلَكُم، فَلم يُوجَد لَهُ مِنَ الخَيرِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا يُخَالِطُ النَّاسَ، وكانَ مُوسِراً فَكَان يَأمُرُ غِلمَانَهُ أَن يَتَجَاوزُوا عَن المُعْسِر، قَالَ اللَّهُ (عز وجل) : فَنَحنُ أَحَقُ بِذلكَ مِنهُ، فَتَجَاوزُوا عَنْهُ) (رواه مسلم) .

على أنه ينبغي أن لا يغتر العبد بهذا العفو العظيم ، وهذا الحلم الجميل ، وهذه الرحمة الواسعة ، حيث يقول سبحانه : {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} ، وقال الحسن البصري (رحمه الله) : ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، وإن قومًا غرتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، قالوا نحسِنُ الظن بالله وكذبوا ؛ لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

إخوة الإسلام :

إن من كرم الله (عز وجل) على عباده أن عفوه سبق عقابه ، وأن رحمته سبقت غضبه ، فعن أبى هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ) . (رواه البخاري)

ولقد كان العفو من شيم النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَه، وَيعْطِي مَنْ حَرَمَه ، ويصِلُ مَنْ قَطَعَه ، ويحسنُ إلى من أساء إليه ، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضى الله عنهما) ، فقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي التَّوْرَاةِ ، قَالَ : أَجَلْ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ، وَمُبَشِّرًا ، وَنَذِيرًا ، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِى وَرَسُولِي ، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلاَ غَلِيظٍ ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا ، وَآذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا) . (رواه البخاري)

فعلى العاقل أن يسعى لإدراك عفو الله (عز وجل) بأن يتخلق بخلق العفو ، فالجزاء من جنس العمل ، ولقد رغبّنا الحق (سبحانه وتعالى) في العفو ، ودعانا إليه ، وأخبر أن عفو الإنسان عن غيره سبب لعفو الله الكريم عنه ، فقال جل شأنه: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ، وقال سبحانه: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

ألا ما أحوجنا إلى التقرب إلى الله (عز وجل) بهذا الخلق النبيل ، ليكون سُلوكًا عامًّا نتعايش به فيما بينَنا ، فنرى أثره في سلامة صدورنا ، وراحة قلوبنا ، رجاء أن نكون ممن أعزهم الله بعفوهم عن غيرهم في الدنيا ، حيث يقول نبينا (صلى الله

عليه وسلم) : (مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إلاّ عِزًّا) (رواه مسلم)، ورجاء أن نكون من ورثة جنة النعيم في الآخرة ، حيث يقول الحق سبحانه: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ الله (تبارك وَتَعَالَى) عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ) (رواه أحمد) ، ولله در القائل:

سَيُرسِلُ اللهُ أَملاكًا مُنَادِيَةً هَيَّا تَعَالَوا لِرَبٍّ مُطعِمٍ كَاسِ
هَيَّا تعالَوا إِلَى فَوزٍ ومغفِرَةٍ هَيَّا تَعَالَوا إِلى بِشْرٍ وَإِينَاسِ
أَينَ الذِينَ عَلَى الرَّحمنِ أَجرُهُمُ؟ فَلَا يَقُومُ سِوَى العَافِي عَنِ النَّاسِ

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا .

.